مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العدد: 01 (2022)، ص 1324-1351

الفلك عند علماء المسلمين وعلاقته بعلم أسرار الحروف

The connection of astronomy with the science of the secrets of science, the secrets of letters and sentences according to Muslim scholars

رمضاني حسين[1]

[1] جامعة ابن خلدون - تيارت (الجزائر)

مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الانسان والمجتمع في الجزائر

hocine.ramdani@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/01/17 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

نحاول في هذا الدراسة الإشارة لأهمية علم الفلك والتنجيم في الحضارة الاسلامية، وعرض مقتضب لأهم المنجزات العربية الاسلامية في هذا المجال، وعلاقة هذا العلم الطبيعي بالتيارات الصوفية والعرفانية، من خلال الاطلاع على ماهية علم حساب الجمل أو ما يعرف بعلم أسرار الحروف. كما نحاول تبيان الأسس المرجعية لقيام هذا العلم في الحضارة أسبابه ودوافعه وغاياته، مع تحديد اهم الشخصيات التي قامت بتطوير هذا العلم باعتباره فرعا من فروع علم الفلك (الأسترونوميا).

وتهدف الدراسة لعرض مجموعة من العناصر التي تمت بصلة لكلا العلميين باعتبارهما يتعلقان بمنهج البحث عند المسلمين في مجال الطبيعيات وكذا العلوم اللسانية، بحيث يستند البحث على مبدأ التنبؤ والذي يدخل في اطار المناهج الاستقرائية التي تقوم على أساس الانطلاق من الخاص الى العام وبالتالي استنتاج النتائج العلمية من خلال البحث في أسرار النجوم وعلاقتها بالحروف الهجائية وتراكيب الجمل.

كلمات مفتاحية: الفلك، الزيج، التطور، النجامة، المناهج.

Abstract:

In this study, we try to indicate the importance of astronomy and astrology in Islamic civilization, and a brief presentation of the most important Arab and Islamic achievements in this field, and the relationship of this natural science to mystical and mystical currents, by looking at the nature of the science of arithmetic of sentences or what is known as the science of the secrets of letters. We also try to clarify the bases of reference for the establishment of this science in civilization, its reasons, motives, and goals, while identifying the most important personalities who developed this science as a branch of astronomy (astronomia).

The study aims to present a set of elements that are related to both scientists as they relate to the research method of Muslims in the field of natural sciences as well as linguistics, so that the research is based on the principle of prediction, which falls within the framework of inductive approaches that are based on the basis of starting from the specific to the general and thus deducing scientific results from During the research in the secrets of the stars and their relationship to alphabets and sentence structures.

Keywords: Astronomy, marriage, evolution, stardom, methods

المؤلف المرسل: رمضاني حسين

1. مقدمة:

البحث في تاريخ علم الفلك هو البحث في تاريخ الانسانية جمعاء، إذ لا ريب أن هذا الأخير عرف تحولات عديدة على مستوى موضوع البحث التاريخي، وعلى مستوى مناهج البحث في مسائله المعرفية. وهو ما يصعب معه الخوض في البحث

عن أصول نشأته وظروف تطوره. إذ يشير بعض من الباحثين والمختصين في مجال الأسترونوميا (الفلك) أن ماهية هذا العلم كانت ولا زالت تتوفر على جانب كبير من الغموض والجهل المخيم على حقائ

ها، وبأن البحث في أسرارها لا يزال في تطور مستمر، خاصة بعد ابتكار تقنيات الرصد الفضائي المعاصرة، والتي ما فتأت تحظى به هذه التقنيات الالكترونية باستخلاص أهم القوانين التطبيقية التي ساهمت في الكشف عن بعض ألغاز الكون.

عرف علم الفلك منذ نشأته عدة تمظهرات تعلق مجملها في مراحل تطور مناهج البحث في جملة المسائل المرتبطة بوجود الكائن السماوي، والذي تمثل في الاعتقاد بحياة الكواكب والنجوم، وفي طقوسية الأبراج الفلكية والاستدلال بالعلامات السديمية التي لا طالما كانت بمثابة شعلة الدهشة والحيرة التي انتابته وهو يراقب قبة السماء. فقد شاع رأي عام يعبر عن وصف تلك اللحظة التي انتابت الانسان المتأمل، والتي رفع فيها بصره ليتأمل ما في السماء من كواكب ونجوم وعلامات. وهي اللحظة التاريخية التي ستعبر عن محاولة العقل الأول للصعود ولعودة الى السماء، وبداية مرحلة جديدة من التفكير في الوجود من حيث هو موجود.

أذاع جمهرة من مؤرخي دائرة المعارف الانسانية والحضارية ما يؤكد هذا الرأي: بأن علم الفلك وفن النجامة يعتبران من جملة معارف الحكمة الأولى، وهو ما يؤيد فرض القائل بتراكمية المعرفة الناجزة عن مراحل استقلال وتفرع العلوم والمعارف التطبيقية عن أصل واحد هو الحكمة الكلية. إذ يرى أصحاب هذه النظرية بأنه يمكن رد أصل نشأة هذه العلوم والفنون تاريخيا، لجملة التراكمات المعرفية التي بدت ناجزة عن خبرات الانسان الطويلة والتي مر بها عبر دروب التأمل والتبصر في دلائل الموجود للاستدلال على الدال. غير أن البحث في أصول

تلك التراكمات المعرفية، غالبا ما تدفعنا الى البحث والتنقيب فيما وراء حدود تاريخ الكتابة والتدوين. بل وتحيلنا تراكمات العلم والمعرفة في مجال تصورات الانسان قديم حول فلك السماء الى حدود ما قبل زمن ألواح الطين والجداريات والبرديات في بابل ومصر القديمة. وهكذا لا مفر من أن يلقي بنا سؤال النشأة في غمار الخبرة البشرية والتجارب الانسانية الى مناطق عميقة في الذاكرة العالم القديم.

فما ماهية علم الفلك والهيئة عند علماء الاسلام؟ وما صلته بعلم أسرار الحروف والجمل؟.

2. أصل نشأة علم الفلك والنجامة (الأسترنوميا):

- **الإنسان الحائر وألغاز السماء؟:**

في علم الفلك تركن ألغاز الوجود الخارجي وحفريات الانسان المندهش من قبة السماء. فقي البدء كانت أسئلة السماء وأجوبتها محط اهتمام الانسان، الذي نظر في مسائل الأفلاك والنجوم والسماوات برؤى لا تنفصم عن مادتها الثيولوجية، والتي كانت غالبا ما تتماهى فيها المعتقدات بالأفكار والتصورات الميثية، بل وتتشكل وفقها التصورات الوجود ومعانيه. تلك الألغاز الكونية التي لا طالما شغلت بال شعوب حضارات الشرق القديم، بدءًا بحضارات مصر القديمة وبلاد ميزوبوتاميا - Mésopotamie - (بابل، آكاد، أشور)، ومرورا بشعوب الشرق الأدنى من بلاد (السند الهند، الصين)، وما خلفته بعد ذلك تصوراتهم حول النجوم والكواكب وعلامات قبة السماء في كتب الزندا والفيدا والأفيستا، وصولا لزيجات الجداول الفلكية عند شعوب حضارتي الفرس والاغريق. وكل هذه الشعوب لم تك بمنأى عن سطوة تلك الألغاز الكونية، ومدى تأثيرها في حياتهم وعلى مخيالهم الاجتماعي والثقافي والحضاري.

ولا يمكن في سياق هذا التماهي أن ينكر أحد، بأن أعمال فلاسفة الطبيعيين الأوائل في اليونان أمثال طاليس الملطى (حوالي القرن 06 ق.م) كانوا ينبهون دوما، ومنذ بكرة التفكير الأنطولوجي للألغاز التي كانت تحيرهم اتجاه السماء. لينتقل في النهاية كل هذا الموروث الحضاري المتنوع عبر وسائط النقل والترجمة للحضارة العربية الاسلامية فيما بعد. حيث تعتبر حضارتنا الاسلامية بمعنى الدقيق للوصف حضارة فلكية بامتياز، إذ تشير جل روايات التاريخ الاسلامي لمؤشرات التقدم العلمي في مجال بناء الأزياج الفلكية الدقيقة، من خلال الاستفادة من الرياضيات والعلوم العددية في بناء قياساتهم الفلكية، والتي أعانتهم عليها الأدلة القرآنية في كيفيات إعمال النظر في مثل هذه العلوم الفلكية التطبيقية. وقد غلب هذا التصور الرصين على أعمال علماء الفلك في الاسلام، مما أدى إلى تطور طردي في علم الفلك وفن النجامة عند علماء المسلمين، خاصة فيما تعلق بوضع جداول الزيجات في باب الأهلة والمواقيت. فقد اتجه الرعيل الأول من علماء وفلاسفة الاسلام نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجريين وجهة علمية في مجال استعمال العلوم التطبيقية في الدراسات القرآنية. وهو ما ألزمهم ضرورة الاستعانة بالعلوم التطبيقية حتى تساعدهم على استكمال مثل تلك الدراسات الموجهة لبيان أسرار آيات الكتاب المبين، وتعقل الاشارات التي تدعوا للنظر والاعتبار في المخلوقات والأكوان.

لقد تركت لنا حضارتنا الاسلامية منجزات هامة في هذا الميدان كجداول الرصد وآلات الاسطرلاب، وغيرها من دوائر الحساب الفلكي، وهيئة تكوّن البروج وجملة الأعمال الجليلة في سيمياء السماء. وهي شواهد لا يزال يشهد لها التاريخ العلمي بجسارة تلك الأسماء والعناوين التي خلفها علمائنا في مجال تأليف الكتب والمؤلفات المختصة في علم الهيئة والنجامة، والتي ساهمت في بناء صرح العلم الانساني عبر مصطبة الفكر العلمي.

- **تعريف علم الفلك والأسترونوميا:**

يعرف علم الفلك في موسوعة عباقرة الاسلام للدكتور محمد امين فرشوخ، بـ: الأسترونوميا (Astronome)، و"هو لفظ يوناني يعني قوانين النجوم، وقد عرف العرب هذا العلم بـ: (علم الهيئة)، أي العلم الذي يدور حول موضوع الاجرام السماوية. ويقال عن علم الهيئة بكونه وصفي وطبيعي، تفصله الكتب الخاصة به" (محمد امين فرشوخ، 1995، ص: 11). ويذكر الباحث محمد أمين في دراسته أيضا، بأن القدماء اعتنوا بهذا العلم وميزوه عن سائر العلوم لفوائد عدة حصَّول أرباب هذا العلم من نتائجه. كما أنهم ربطوا مضمون هذا العلم بمستقبل الإنسان والدول حينها، لما اعتقدوا من تأثير في الأجساد والعواطف. وقد كان هذا اعتقاد الكلدانيين والاشوريين والفينيقيين، والمصريين والهنود وغيرهم من شعوب العالم القديم.

أما إذا ما عدنا الى تاريخ العلم في الحضارة الاسلامية، فقد انتهى علماء الاسلام لرأي جامع مانع في مسألة الفصل فيما يتعلق بحكم من يعتقد بالكواكب، ومفاده هذا الرأي أن المعرفة الحقة عند علماء العرب المسلمين، إنما تتفرع الى ثلاثة فروع كبرى يتوجب على المرء اكتسابها وتحصيلها بغية الانتفاع بها لا غير. وقد أوجز علماء الاسلام العلوم في ثلاثة فروع كبرى: الأولى تتضمن حقائق الفقه والأدب وهو للأديان، بينما معارف العلوم الثانية؛ فتتعلق بمعرفة دقائق الوقاية وجليل ما يطلب في التطبب والعلاجات، وهو باب معرفة أحوال الأنفس والأبدان. وأما النوع الثالث من المعارف فيتمثل في النظر في مواقع النجوم، وأسرار الزيجات مفرد (زيج) وهو لفظ يطلق على الجداول الفلكية القديمة، وطقوس النيرنجانات التي بها يرجى معرفة أفلاك السديم، وهو علم يختص بالأحوال والأوقات والأزمان.

وعليه فمن جملة هذه المعارف الروحانية المطلوبة وجوبا، تعتبر الحسابات الفلكية ضمن متلازمة الرصد الروحاني بالمقصد الجسماني، فالأفلاك من حيث

هي موضوع موجودات ذات أصل سيميائي. وأن هذه المتلازمة لا تنفك أن تكون مكوناتها ميتا - فيزيقية أي بكونها علاقة تماهي بين ما هو روحي وما هو جسماني، حيث يتخذ الفلك صفة تشاركية بين الحقائق الكليانية والعناصر والمواد الهيولانية. الأمر الذي يجعل موضوعات علم الفلك ضمن مجال المعارف السيكولوجي، وهو ما يحيل الفكر على وحدة ثنائية مركبة. لهذا فإن علم النجامة والفلك جزء لا يتجزأ من مباحث الرياضيات الكونية بشكل عام، أو ما يعرف بـ: علم كوسمولوجيا العدد (Science Numérique – cosmology).

ويمكن الاستدلال على هذا المعنى في تعريف الفيلسوف أبي طرخان الفارابي (ت 339هـ/ 950م) عندما أشار إلى ماهية كوسمولوجيا العدد في بيان حقائق علم الهيئة (علم النجوم) والذي يتبيّن لنا من خلاله كيف أن علم الأسترونوميا يعتبر "من علوم الحكمة القديمة، المصنف ضمن دائرة الطبيعيات. وقد نستقى دليل هذا الرأي في معرض ما حدَّث به الفارابي في باب تصنيف العلوم، والموسوم بكتاب: (إحصاء العلوم/De Ortu Scientiarum). حيث يقول: "إن علم الهيئة يشتمل على قسمين أحدهما علم دلالات الكواكب على المستقبل. والثاني العلم التعليمي، وهذا القسم هو الذي يعد من العلوم. أما الأول: فإنما يعد من خواص النفس التي يتمكن بها الانسان من معرفة ما سيحدث في العالم قبل حصوله؛ وذلك من نوع الفراسة والزجر والطرق بالحصى، وغير ذلك.." (كرلو نلييو، 1993، ص: 24)

- **صلة الفلك بعلم العدد الرياضي:**

بالنسبة لعلاقة هذا العلم العددي بمعرفة النفس، فيحضرنا ها هنا رأيان اثنان، أولهما منسوب لأعظم شخصية عقلية، وهو لأبي الريحان البيروني (973 – 1048م) الملقب عند اللاتين بالأستاذ أليبورون (Master-Aliporon). والمنقول من (كتاب التفهيم)، وهو في الأصل عبارة عن مخطوطة بالخزانة

الحسينية، أشار اليها الاستاذ الباحث محمد العربي الخطابي في موسوعته: (التراث الفكري عند المسلمين). أين يشير البيروني في أحد فصول الكتاب إلى خواص الأعداد المتحابَّة، في إشارة واضحة إلى علاقة العدد بمكامن معرفة النفس الإنسانية.

أما بالنسبة للرأي الثاني فهو لإخوان الصفا وخلان الوفا وهو مقتبس من الجزء الخامس والسبعون من الرسالة الموسومة برسالة في العدد، حيث يقول أحدهم: "،، قدم الحكماء النظر في علم العدد قبل النظر في سائر العلوم الرياضية، لأن هذا العلم مركوز في كل نفس بالقوة، وإنما يحتاج الانسان الى التأمل بالقوة الفكرية حسب من غير أن يأخذ لها مثالا من علم آخر، بل منه يؤخذ المثال على كل معلوم". (محمد العربي الخطابي، 1998، ص: 700).

وبالرجوع لمضمون هذين الرأيين يحيلنا تاريخ علم الفلك عند علماء العرب المسلمين، لفكرة جديرة بالانتباه تتعلق أساسا بوظيفة القوى المدركة للإنسان من ذاكرة ومخيلة باعتبارهما من ملكات العقل الإبداعي. والذي وضع تصورات عام للموجودات الفلكية من خلال إعمال الخيال العددي كأحد قوى النفس العاقلة والمتأملة في هيئة عالم الفلك. فقد اعتبر المتصوفة الواحد العددي بمثابة الكشّاف المعين على معرفة الواحد المستعان به في العالمين. واعتبار علم الأعداد علما ينم عن مراتب معرفة الأعراض، وجودها وقوامها الذي لا يكون الا بوجود النفس. فهي جوهر في الأصل، وكل عرض لا يكون له قوام إلا بوجود جوهر، والذي لا يوجد إلا فيه، وفي هذا منحى ما وراء فيزيقي معلوم بالعيان. وهذا يؤكده البيروني في رسالته الموسومة بـ: (استخراج الأوتار في الدائرة) بكونه علم روحاني وحقيقة أمره تعرف في طبيعة الصلة الرابطة بين علم الفلك والنجوم وعلوم الرياضة كالعدد والحساب والهندسة. "وأنت لو تحققت ماهية الهندسة، وأنها معرفة نسبة الأجناس الواقعة تحت الكمية بعضها إلى بعض، .. ثم نرتقي بواسطة

التدرب بها من المعالم الطبيعية إلى المعالم الإلهية، التي تمتنع لغموض معانيها، وصعوبة مآخذها، ودقة طرائقها وجلالة أمرها؛ وبعد تصورها عن أن ينقاد لكل أحد، أو يدركها من عدَل عن سنن البرهان، لما عدَلتني عند ذلك". (محمد العربي الخطابي، 1998، ص: 701)

والجدير بالذكر هنا أن نعتبر النفس الناطقة تبعا لرأي المعلم الثاني بمثابة القوة المدركة لحقائق الأفلاك الطبيعية وجوبا، إذ يمكنها تعقل ما سيكون بما كان، أو يحدث على سبيل التنبؤ بما يحصل على وجه ما حصل. إذ وفي دراسة مصدرية عنوانها:" ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد" للعلامة الحافظ محمد بن ابراهيم الانصاري المتوفى سنة (749ھ/1348). وهو أحد تلامذة الفيلسوف أبو نصر الفارابي، كان عالما ضليعا في علم الفلك والتنجيم، أين نبيَّن في مؤلفه بأن "علم الهيئة له خمسة فروع، فيما ورد من تصانيف المعلم الثاني ومن جملتها: علم الزيجات والتقاويم، وعلم المواقيت، وعلم كيفية الأرصاد؛ وعلم تسطيح الكرة والآلات الشعاعية الحادثة عنه، وعلم الآلات الظلِّية" (كرلو نيلييو، المصدر السابق، ص: 25). \

من جهة أخرى يقول الاستاذ محمد أمين فرشوخ أن من فروع هذا العلم المشهورة بين الناس، الأزياج: والذي يشير إليه العلامة ابن خلدون في كتاب العبر بأنه: "من فروع علم الهيئة علم الأزياج، وهي صناعة حسابية على قوانين عددية، أي: فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء، واستقامة ورجوع؛ وغير ذلك.."

(محمد أمين فرشوخ، 1995، ص: 25). أما من الناحية العملية فقد جعل علمائنا الأجلاء النظر في هذا العلم ضربا من ضروب معرفة الخالق عز وجل. وما معرفة المرء بالنجوم الا ضرب عام للتوجيه الالهي، الذي خص به الانسان من معرفة للحق. ذلك أن النجم يعتبر دليلا وآية يهتدي بها الانسان في الأحيان

والأحوال. يقول تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20))

(سورة النحل، رقم: 15 - 20)

ويذكر العلاّمة العالم العامل والعابد الزاهد رضي الدين أبي القاسم على بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني (ت 664 ه)، في الباب الأول من مؤلفه: (فرج المهموم في نهج الحلال من علم النجوم). بأن النجوم والعلم بها من آيات مالك الجلالة، ومن معجزات صاحب الرسالة. "فأعلم أن كون الأفلاك والشمس والقمر والنجوم دلالة باهرة، دالة على مالك الدنيا والآخرة، مما لا يحتاج الى برهان، لأنه موجود بالعيان والوجدان، وقد ورد القرآن الكريم، تنبيه أهل التكليف، بما لا يدع شك على ضرورة الدلالة بها والتعريف"

(ابن طاووس، دط، ص: 11)

وما يمكن أن نخلص إليه في سياق هذا التصور الإجرائي، والذي يكمن في الاعتراف بأهمية وقيمة موضوع علم العدد في بناء تصورات الفلك والنجامة. وعليه يعتبر هذا العلم فرعا من فروع العلوم التطبيقية المندرجة تحت مصفوفة الطبيعة الهندسية، والتي ترد آرائها تباعا في أخبار وكتب حكماء الأولين. فالفلك والتنجيم من علوم الدهر الأول حسب ما يذكر ابو يعقوب الكندي (252ه/866م)، الموفورة بالحكمة المتضمنة في سبعة علوم، هي: التنجيم والطب والفراسة، ثم علم التعبير، وعلم الكيمياء، وعلم النيرانجات والطلسمات. والتي يعرفها الإمام المرتضى في كتابه: (المكاسب) - علم النيرنجات والطلسمات - بأنها: "النظر في الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية لمعرفة احكام النجوم من

اقتضاء حركاتها الوقائع الكونية، والأمور الأرضية، فيكون الإخبار بذلك بعد النظر في النجوم".

(مرتضى الانصاري، دس، ص: 176)

3. نسبة علم أسرار الحروف وصلته بالنبوة:

يعتبر علم أسرار الحروف من العلوم الشريفة، التي تمتد جذورها في عمق التاريخ العلوم. حيث يذكر الرواة بأن بداية نشوء أسرار الحروف عندما ربط سهل بن هارون بن راهبون (215هـ -830م) صاحب كتاب: (المسائل) الحروف العربية بمنازل القمر الثمانية والعشرين، ثم تبعه آخرون حتى قيل في ذلك: "وأما الحيوان الانسان فذكرنا أنه يتصرف في (28) حرفا علويها وسفليها" (أسرار الحروف، ص: 28). ويرى بعض رواة التاريخ بأن أصول نشأة هذه الأسرار إنما تنبع من معين إلهي سماوي، حيث أشار بعضهم على غرار ابن النديم بأن أول من اشتغل بهذا العلم هم كهنة التلمود ممن كانوا من أحبار اليهود. ويروى أيضا على لسان الرواة: بأنه يحكى أن رجلا اسمه (حي بن الأخطب)، وهو يهودي مر ذات مرة على الرسول فسمعه يتلو آيات من القرآن الكريم، فأتى إليه برفقة نفر من أحبار المدينة، فجادله في مدة الدعوة التي بعث فيها صلى الله عليه وسلم. وقد بادر بالسؤال والمجادلة في معنى فواتح السور، وفي معاني الحروف النورانية (ألم، ألمر، كهيعص، ص، ن) وحقيقتها العددية.

والجواب الذي لا نكران له هو أن القرآن كتاب الله، والوحي الذي أنزله الباري على عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام بلسان عربي مبين. وهو مستودع الحق وبرهان اللسان وهيئة حقائق الأسرار الروحانية المودعة في الأكوان والأزمان، والبرهان الرباني الموكل بدوائر الحرف والبيان. أنزله الباري على عبده محمد بما هو استحقاق لإعجاز ثقات البرهان وأدعياء العرفان. يشير المحقق مفتاح عبد الباقي في تصدير كتاب: (فصوص الحكم) لشيخ الزاهدين الشيخ محي

الدين بن العربي ذكر صريح في ماهية علم أسرار الحروف والأعداد والذي يعتبره بن العربي موضوع علم ميزان حقائق الوجود. الذي به يمكِّن العثور على مفاتيح الغيب وبه يكون تجلي الذات على الحقائق والمعارف.

يقول بن العربي: "هو علم علماء كبار الأولياء الذين أوتوا منطق الطير السرياني وهو اللغة المشتركة بين العلوم الالهية ومعارف النشأة الكونية والإنسانية، وأسرار الحقائق القرآنية، ومدارج السلوك عبر معارج الولاية وتربيتها الروحية ". (عبد الباقي مفتاح، 2004، ص: 35)

من هنا سنحاول رصد بعض الآراء التي تناولها المتصوفة الفلكيين من أهل الباطن والعرفان، وما ورد على لسان حالهم من أقوال في بيان ماهية هذا العلم العددي. فقد ورد على سبيل المثال قول صريح في كتاب: (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) للعلامة الفقيه والمتصوف الشيخ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت 1067). بأن المشتغل بهذا العلم ينبغي أن يكون من ملما بالبيان والعرفان والبرهان. إذ عليه أن يكون موجها اهتمامه نحو خواص الحروف إفرادا وتركيبا هذا من جهة، وأن يكون اهتمامه مفردا لإدراك ومعرفة قواعد الرياضة مع ملازمة لمبادئ المشاهدة والنظر والإبصار.

وهو ما يذكره في بيان تعريفه لعلم حساب الجمل حيث يقول: "هو علم باحث عن خواص الحروف إفرادا وتركيبا، وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب وصورته تقسيمها كما وكيف، وتأليف الأقسام والعزائم، وما ينتج منها، وفاعله المتصرف، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعا وانتزاعا ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة" (طارق القحطاني، 2008، ص: 20).

كما كتب الامام الزاهد في باب الاشتغال بعلم النجامة فرع الازياج البيانية، قائلا: "هو كل من يتخذ من موضوع الحروف الهجائية مادة لعلمه، ومادته

العلمية تكون مما يستوفيه من معارف وأوفاق والتراكيب، والقدرة على إدراك صورة تقسيمها كما وكيفا، ومن موادها العلمية تأليف الأقسام والعزائم، وما ينتج منها، ويكون الورد والزيج حسب ما يذكر هما فاعلاه المتصرف، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعا وانتزاعا ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة" (عبد الله القسطنطيني، 1992، ص 650).

أما فيما ورد من ذكر مراتب هذا العلم، وأدب الاشتغال بمسائله الروحانية. فقد أدلى العلامة المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808) بدلوه في كتابه: (العبر وديوان المبتدأ والخبر) بخصوص ماهية علم خواص الحروف وصلته بعلم التنجيم، حيث أورد قولاً يفيد في متنه بأن هذا العلم يدخل ضمن دائرة المعارف السيميائية المسماة بـ: الطلسمان في إصطلاح أهل التصرف من المتصوفة في ذلك العصر. وعلم الطلاسم علم ينضوي تحت طائلة الكمالات الأسمائية وأرواح الأفلاك. وأن جملة مسائلها المرتبطة بفكرة أصل أشياء الموجودات. إذ يقول في هذا الصدد: "حدث هذا العلم بعد الصدر الأول عند ظهور الغلاة منهم، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيدهم، والتصرفات في عالم العناصر. وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان، وهو من تفاريغ علوم السيميا لا يوقف على موضوعه، ولا يحاط بالعدد مسائله" (ابن خلدون، دس، ج3، ص: 330)

يتبن لنا من خلال هذا الاقتباس الخلدوني المقتطف من كتاب العبر، بأن معرفة خواص النجوم ركن من أركان معرفة أسرار الحروف، وهي من المعارف التي تندرج تحت شجرة علوم الهيئات الروحانية. وهذا ما ذهب اليه أهل الحقيقة عندما اعتبروا علم معرفة خواص ومواقع النجوم من جملة العلوم السبعة المتفرعة سلفا عن حكمة النظر في عموم الطبائع وصفات الأكوان. وأن علم

النجامة يعد في مضمار الكشف الذوقي مفتاح مباحث الروحانيات، التي تشمل تجليات التأمل والنظر والإمعان في الأمور.

وتشمل أعمال المشاهدة والإبصار في علل أعراض الفلك الاعظم وما يحيط به من دوائر الأكوان. وبحسب ما تتداوله الآراء الصوفية حول مصطلح النجامة، فإن ما يبدوا هنا هو ارتباط هذا المصطلح تاريخيا بمسوغات استعمال جسمانية الحرف للتعبير عن روحانية الدائرة الهندسية التي ترد جملة وتفصيلا ضمن الاشارات الرمزية التي اعتمدها أهل التصرف في بيان صفة المخلوقات الروحانية كصفة سجود النجم والشجر اللذان يسجدان في سورة الرحمن. يقول تعالى: (الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)) (سورة الرحمن، رقم الآية: 1 – 7)

لهذا فإنه ولا ريب أن نجد هذا المصطلح متمركزا جيدا ضمن دائرة المعرفة الانسانية لموضوعات ومسائل: (الهيئة، الفلك، التنجيم). وقد ورد في باب فضل فوائد الخوض في هذا العلم آراء كثيرة. إذ ومن الآراء التي نضرب مثالا بها، ما أفاد به رأي ابن طاووس حينما قال: ".. واعلم .. أيها الأخ أيدك الله وايانا بروح منه، أن في معرفة علم النجوم، فوائد كثيرة فيما يكون في الحادث المستقبل، والكائن من بعد أيام؛ فإنه إذا علم الإنسان ما يكون، أمكنه حينئذ أن يدفعه عن نفسه أو بعضه، لا بأن يمنع كونه. ولكن يتحرز منه، ويستعد له كما يستعد سائر الناس لدفع برد الشتاء بجمع الدثار، ولحر الصيف باتخاذ الأماكن، وللغلاء باتخاذ الغلات والادخار؛ ولخوف العين بالصرف منها، وللمخاوف وما شاكل هذه الأمور. مع علمهم بأنهم لا يصيبهم إلاّ ما كتب الله عليهم" (ابن طاووس، دس، ص 116)

وقد ورد في ما نقل من فقه الرواية ومسند الأحاديث النبوية الشريفة، في باب فضل معرفة المقدورات من الآتي في المستقبل. فإن قول سيدنا محمد عليه

الصلاة والسلام في حديثه الشريف: "الصدقة تدفع ميتة السوء" رواه عبد الله مالك ابن أنس في مسنده. تشير الى امكان معرفة المقدورات بأعمال الصالحات من النظر والاعتبار، لأن الصدقة قد تكون عبارة عن كلمة او ابتسامة في وجه الانسان الآخر. وعليه فإن إمكان معرفة الآتي من المستقبل واردة كإمكانية تطبيقية لو ما أن الانسان اتخذ الوسائل الموصلة الى مبتغى هذه المعرفة التي تتم بالصالحات.

ومعنى ذلك أن الاعمال الصالحة كالصدقة والزكاة والاعمال الحسنة، هي بمثابة شرط لزوم واجب لوقوع معرفة غير مباشرة للأتي من المستقبل، إيمانا بالقضاء والقدر لدى المسلم المؤمن. إذ يذكر الشيخ الاسلام وإمام الزاهدين محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (توفي سنة 329 هـ / 941 م) في كتابه: (الكافي)، وبإسناد بو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني. (93-179هـ / 711-795م) فقيه ومحدِّث مسلم، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الصدقة تدفع ميتة السوء" (المصدر السابق، دس، ص 116)

في هذا الصدد ذهب الرواة والفقهاء المفسرون، بخصوص بيان مضمون هذا الحديث النبوي الشريف، الى القول بأن المسلم بإمكانه عن طريق الله، واتباع النهج القويم أن يرد ما يقضى في المستقبل بالصدقات، والأعمال الصالحة. وليس هناك أسوء من توقع الميتة السوء في كل حال وحين عند المرء، ما لم يكن طريقه على النهج القويم. ثم إن هذا الدين الحنيف يدعو صراحة لهداية للناس أجمعين، بما يوفره من دعوة لكشف مكامن الاعتبار في المخلوقات لأجل معرفة وتوحيد الخالق، وبتدبر الأمور جليلها ودقيقها، وتحقيق الوجود الفعلي فيما هو غاية الوجود الكلي؛ وذلك برد المجهول من الوجود لحقيقة كلية هي عجز الفكر

والقلب عن إدراك الكليات والكيفيات، وقصرهما عن معرفة شتات السواكن الثابتة، أو إدراك المتغيرات المتحركة في هذه الموجودات والمخلوقات.

في سياق هذا التحليل الموجز لمعطى الاستبصار بالأعمال الصالحة، وبغية التنبؤ بما يجب أن يكون في طاعة المخلوق للخالق، عمد ثلة من ثقات العلم والرواية إلى بحث المرجعيات النقلية والعقلية الممكنة لجواز الاشتغال بمسائل هذا العلم. حيث ذهب هؤلاء الثقات للقول بأن أول من أحدث هذه اللطائف الحكمية، وأول من كان عليما بأمور تلك الأسرار والحقائق، بل وأول من أخرج هذا العلم الى العيان بالبيان.. كان من رجال أهل الحق، حتى أنه قيل عنه.. بأنه كان نبيا مرسلا؛ وقد روي في ذلك كلام كثير. فمنهم من قال بأن سيدنا إدريس عليه السلام، كان أول من عمل به، فيما يذهب اليه الطبري في كتابه: (التاريخ الكبير). بأن هذه المعرفة وهبت للنبي إدريس عليه السلام. ومن هنا جاء الفعل (درس، يدرس، دراسة) أي التعلم والكتابة.

والأمر نفسه ذكر في كتاب: (الفهرست) لابن النديم حيث نسب هذا العلم الى النبي إدريس عليه السلام. وفي قول آخر نسب هذا العلم لسيدنا ابراهيم عليه السلام، في حين كان هناك من ينسبه الى سيدنا دانيال عليه السلام. منهم من اعتقد بأنها من علوم أهل العزم عليهم السلام، ومنهم من اعتقد بأنها من لدن عترة النبوة والولاية. ولنا في ذلك على سبيل المثال رأي الامام القفطي في كتابه: (تاريخ العلماء بأخبار الحكماء)، وما يحيل اليه في باب تصنيف العلوم عند الثقات من اهل الحكمة والعلم اللدني، أين يشير هذا المؤرخ الاسلامي الى هذا العلم ضمن خانة العلوم الشريفة، وقد رد ذلك لشرف ظهوره على يد سيدنا إدريس النبي عليه السلام كما سبق الذكر. ويمكننا في خضم هذا الطرح الوقوف أيضا على حيثيات وتفاصيل هذه المواقف المتضاربة حول تعريف هذا العلم التطبيقي.

بالعودة لعدد من الدراسات المتخصصة، كالدراسة التي قدمها لنا الاستاذ يحي شامي والموسومة بعنوان: (تاريخ التنجيم عند العرب وأثره في المجتمعات العربية والاسلامية). حيث يذكر الباحث آراء الشيخ محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، صاحب التفسير المعروف بـ: (الكشف والبيان) (المتوفى عام 427هـ/1035م)، والتي نسب من خلالها أصل نشأة هذا العلم الى النبي إدريس عليه السلام. وجملة ما أوجز فيه الشيخ حول هذا صحة هذا الرأي، ذكر الأصل الجذري لهذا العلم باعتبار أن لفظه دال على الفعل والاسم، وكذلك أشار الطبري لهذا الجذر اللغوي في باب رتبه في ذكر أسماء ومناقب الرسل والأنبياء.

ويمكن القول في ما يخص نسبة هذا العلم الى دائرة علوم العترة النبوية، فإن الراجح من القول عند من تقدم ذكرهم من زهاد ومتصوفة فلكيين. أن الأنبياء هم أول من علموا بالأسماء والافعال، وهم أول من خطو بالأقلام الأفعال والأسماء: ".. إنما سمّي هذا النبي إدريس على وزن إفعيل، لكثرة درسه الكتب، خصوصا صحف آدم وشيث. وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم والحساب. وما زال عدد من الأدعية التي يرويها الثقات، ويتقربون بها الى الله في أعمال رجب، قولهم: يا معلم إدريس عدد النجوم والحساب، والسنين والشهور والأيام"

(ابن طاووس، دس، ص: 22)

4. في بيان ما ورد من دلالة معجمية لحساب الجمل:

بخصوص ما ذكر في معجم المصطلحات العلمية لعلم الفلك والنجامة، فقد ذهب إخوان الصفا وخلان الوفا الى القول الآتي: "الأسماء تدل على المعاني، والمعاني هي المسميات، والألفاظ هي الأسماء، وأعم الألفاظ والأسماء قولنا (الشيء)، والشيء إما أن يكون واحداً أو أكثر من واحد. فالواحد يقال على وجهين، إما بالحقيقة وإما بالمجاز (محمد الخطابي، دس، ص: 695). كما ذكر لنا أحمد

بن محمد بن يعقوب أبو علي مسكويه (320 هـ/ 421 هـ - 932م / 1030 م) قولاً في باب الاشارة لتراكيب حروف الأسماء والأشياء: "إن الاسم مركب من الحروف، والحروف عددها ثمانية وعشرون، وتركيبه يكون ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا" وبهذا ترد كل المركبات اللغوية إلى صور الهندسة في الكون، وهو ما يعطى للفكر واقعه المجرد عن المحسوسات والهوام، وقال ايضا: ".. بذلك ترد مركبات الحروف الى مركبات الطبيعة".

(التوحيدي، الهوامل والشوامل، دط، ص 20)

ويذكر الباحث المختص الأستاذ يحي شامي في مؤلفه: (تاريخ التنجيم عند العرب)، بأن الفلكي الشهير أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي (171 هـ - 271 هـ)، والمعروف عند الغرب باسم ألبوماسر (Albumaser)، صاحب كتاب (شموس المعارف)، تناول مسألة الصلة بين الاعداد والحروف من خلال ذكره أول من اشتغل بهذا العلم، حيث قال بأنهم كانوا أنبياء عليهم السلام، "وبأن هذه العلوم تدخل جميعا فيما يعرف بعلم حساب الحروف والجمل، وهو علم قديم في الأديان السماوية السابقة عن الاسلام، خاصة الصحف والزبر والتوراة". (يحي شامي، ص:30) وأن هناك ثلة من الثقات نذكر في مقدمتهم الشيخ محي الدين بن العربي، الذي أشار في كتابه: (فصوص الحكم)، أن مقام النبي سيدنا إدريس عليه السلام، هو مقام الحروف الشمسية. وأن حيزه هو حيز فلك الحروف الشمسية.

وهو ما بينه الامام ابن طاووس في كتاب: (فرج المهموم في علم النجوم) "إن النجوم جعلها الله دلالات، وهو تعالى شأنه الفاعل المختار، وأنه علم علمه إدريس، وانتشر بعده في الزمن القديم والحديث في الأنبياء والأئمة والعلماء الإسلاميين، وغيرهم من سائر الملل؛ ويتضمن جملة من إصابات المنجمين وكتبهم، وغير ذلك .." (ابن طاووس، دس، ص: 07)

من هنا يمكننا أن نستدل في هذا المقام بعدد من آراء المتقدمين من علماء الفلك في الاسلام أمثال. شيخ فلاسفة الاسلام علي بن سينا، الذي قال في سياق الصلة بين علم النجامة، وعلم حساب الجمل (الحروف العددية) ضمن إحدى رسائله الفلسفية حول علوم الحكمة والطبيعيات: "إن علم الهيئة نظير علم الحروف بمعنى أنه علم تخميني، الغرض منه الاستدلال من أشكال النجوم والكواكب بقياس بعضها إلى بعض، وبقياسها إلى درج البروج. وبقياس ميل ذلك إلى الأرض، على ما يكون من أحوال وأدوار العالم، والملك والممالك والبلدان، والمواليد والتحاويل والتسايّير والإختيارات والمسائل". (ابن سينا، 1298هـ، ص: 75)

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أعمال الفيلسوف الاسلامي نصير الدين الطوسي العلامة الذي قام بترجمة كتاب: (الفلك الصغير)، والذي سماه المؤرخون العرب المسلمين (كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة)، والذي عدد فيه أوجه الصلة بين الحرف والعدد والتي عبر عنها بالصلة الطبيعية، وأن هذا الرأي في يعود في الأصل لما ورد في كتاب ينسب للمترجم السرياني قسطا بن لوقا (ت 300هـ/ 912 م). كما يعتبر أبو الحسن علي بن أبي سعيد الصدفي المصري، المعروف بـ: ابن يونس المصري (342هـ/ 950م - ت 1009م). من مشاهير الفلكيين العرب الذين ظهروا بعد أبو عبد الله البتاني حوالي عام (240هـ- 854م)، وأبي الوفاء محمد بن محمد بن العباس البوزجاني (328هـ - 388هـ - 940 - 998م). وهو من أشهر الفلكيين الذين قاموا بإصلاح الزيج الحاكمي. حيث جمع في مقدمته مجامع الآيات المتعلقة بأمور السماء، ورتبها ترتيبا جميلا بحسب مواضعها.

ثم أثنى عليه بقوله أن زيج الفلك الأعظم من أفضل الطرق المؤدية لمعرفة الله وهو رصد بالتفكر والتأمل في خلق السموات والأرض، وذكر لخواص وعجائب المخلوقات، وما أودعه الباري فيها من حكمة. "وبذلك يشرف الناظر على عظيم

قدرة الله عز وجل، وتتجلى له عظمته، وسعته حكمه، وجليل قدرته" (أحمد محمد الشنواني، 2007، ص: 136)

ولابد لنا هنا أن نذكر أيضا أعمال الفلكي المعروف بالبتاني، والذي وضع كتبا عديدة في مجال صلة الفلك بجغرافيا الأرض، وكنية تعديل الكواكب والنجوم. ولعل زيجه المعروف باسم (الزيج الصابي) يعتبر من أهم المؤلفات الفلكية، إذ يعد من أصح الأزياج التي أثبت فيها دقة الحسابات الفلكية المتعلقة بحركات الأجرام. كما أثبت فيه مدارات الكواكب الثابتة لسنة (249 ه)، إذ يقول نللينو: " ... كان لزيج البتاني أثر كبير في علم الفلك، وفي علم المثلثات الكري، وقد بقي مرجعا للفلكيين في أوروبا خلال القرون الوسطى وأول عصر النهضة"

(أحمد محمد الشنواني، 2007، ص: 177 - 178)

5. الخواص العددية للحروف الهجائية عند أهل التصاريف:

لئن كانت اللغة العربية متفرعة عن اللغات السامية القديمة، والتي بالكاد تكون قد عرفت عدة تحولات عبر كرنولوجيا تطورها التاريخي، فإنها تمكنت من التوسع والانتشار في القرون القديمة ووصولا الى القرون الميلادية الوسطى ابتداءً من اللغة الآكادية، فالآرامية ثم العربية) (أوستلر، ص: 147). فحروف الهجاء في العربية تنتمي لدائرة اللغات السامية التي كانت لها صلة وثيقة بمفردات الآرامية والأكادية. والتي تعود سجلاتها الأثرية إلى نقوش وكتابات اكتشفت في مناطق عدة من شبه الجزيرة العربية. يقول بوزورث كليفورد:" لقد أضحت اللغة العربية أداة العلم الاسلامي الرئيسية، وقامت في المشرق بالدور الذي قامت به اللغة اللاتينية في الغرب". (كليفورد بوزورث، 1998، ص: 127)

ويمكننا في هذا السياق أن نقدم مثالا عن تسميات الأعداد الطبيعية العشر الأوائل في ثلاث لغات قديمة، لنبين مدى التقارب والتداخل بين الأصوات اللغوية لهذه اللغات السامية الثلاث. حيث يبين جدول التالي نمط العد عند هذه

اللغات حيث يبين العدّ من 1 الى 10 في العراق القديم من 2300 ق.م الى 2000م. ونجعل من المقارنة الوصفية طريقا لبحث التحولات التي طرأت على موضوع ومنهج علم حساب الجمل في اللغة العربية بصفتها مقوما أساسيا لحضارة إنسانية لغوية بامتياز. وبالتالي فإن العدد حسب هذه السيرورة التاريخية والحضارية سيكون مثال عن صيرورة لغوية لدى الانسان الناطق. فالجدول الذي بين أيدينا يظهر لنا كيف أن هذه اللغات الثلاث لها خواص عددية رياضية مرتبطة بهيئة الحرف أنطولوجيا وميتافيزيقيا.

الاعداد	الأكادية	الآرامية	العربية
1	إشتن	حاد	واحد
2	شينا	ترين	اثنين
3	شلاش	تلاتا	ثلاثة
4	إربا	آربعا	أربعة
5	حميس	حميشة	خمسة
6	شيش	شتا	ستة
7	سيـي	شبعا	سبعة
8	سماني	تيمانيا	ثمانية
9	تيشه	تسعا	تسعة
10	إيشير	عسرا	عشرة

إن محاولة إعادة بناء تصوراتنا حول علم حساب الجمل المعروف بعلم أسرار الحروف. هي محاولة تعنى بجانب من جوانب التطبيقات العملية، التي تقتضي منا التأكيد على ضرورة استظهار هذا الحقل المعرفي القديم قدم الحضارة الانسانية، وبالتالي إعادة نبش حقله ومجال قيامه من خلال استخراج مبادئه وتقنياته. ولنا في مبحث معرفة الأزمان المستقبلة والأوفاق الفلكية، وعلاقتها بعلم

أسرار الحروف أو علم حساب الجمل العددي مثال واضح عن كيفية العمل بآلة هذا العلم. إذ يقدم لنا بعض رواد هذا العلم تصورا رصينا حول شروط الاشتغال بهذه الاسرار. حيث استعملت الحروف والجمل في علم حساب المواقيت، والذي هو علم مشار إليه في الكتب السماوية كالصحف والزبر والتوراة والإنجيل، وقد أشار اليه القرآن أيضا في عديد من آياته سواء أكانت الاشارة تخص مجال العبادات أو المعاملات أو غيرها من تصورات الخلق. يقول الله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37)). الأيتان 36-37 سورة التوبة. لقد استفاد علماء الفلك المتصوفين منذ الوهلة الأولى، من جملة التفاسير المأثورة في كتب الديانات السماوية، خاصة تلك المتعلقة بروافد الإصحاحات التواراتية والإنجيلية، وكذا في السور والآيات القرآنية. حيث أعملوا لازمة الاستعارة التأويلية كعلامة دلالية تقودهم لسبر جواهر المفهومات المجردة والمتعينات الحسية. فجعلوا من معرفتها طريقة تنفتح فيها النفس الكلية على أعمال الزهد والتأمل والخلوة والإتحاد والحلول. وأقاموا على أساسها مذهبهم الباطني في معرفة الحق بواسطة الخلق، وبتجريد النفس الناطقة من شوائب الأعراض الجسمانية؛ واعتقدوا بأن خواص الحروف باطنة وراء النسب العددية الظاهرة في الأعيان والأكوان، وقد عبروا عن ذلك بخوضهم في مسالك التحلي بإعمال الاستبطان في أحوال التخلي والتجلي باطنا وظاهرا.

ويمكن الوقوف هنا على أهمية هذه الوساطة الدلالية، من خلال ما يربط هذين العلمين بعضهما البعض، أي علم الهيئة وعلم حساب الجمل عند

الفلكيين. من خلال الوقوف مرة أخرى على آراء النجامين في الحضارة الاسلامية، ولنأخذ على سبيل المثال أبو سليمان السجستاني، الذي قال في مناظرة كان التوحيدي أفرد لها مبحثا في كتابه المعروف بـ (المقابسات)، والتي أكد من خلالها على أن العلم بأسرار الحروف وثيق الصلة بمعرفة هيئة عالم ما تحت فلك القمر. حيث يقول في باب معرفة ظرف الزمان والمكان في اللغة: "إن ظرف الزمان ألطف من ظرف المكان، والمكانيُّ أكثف من ظرف الزمان، وكأن المكان من قبيل الحس، والزمان من قبيل النفس. وكأن الزمان من حد المحيط، والمكان من حد المركز، فوجب لهذا أن يكون تصرف الألطف أكثر من تصرف الأكثف. وبحسب تصرفه تكون أسماء أحواله في تصرفه أكثر، والزمان منسوب إلى حركات الفلك، فجوهره شريف. والمكان من جوهر المحيط فجوهره محطوط، والفلك أقرب من الأمور العالية، فكذلك مرسومة الذي هو الزمان".

(التوحيدي أبو حيان، المرجع السابق، ص 173)

وعليه فقد أجمع أهل اللغة والتصريف على القول بوجود ثمان وعشرين (28) حرفا، تتكون منها اللغة الهجائية. حيث جعلوا لسبعة وعشرين حرف منها أصولا رياضية، تدل على مراتب الآحاد والعشرات والمئات. أما الواحد فقد جعلوا له مرتبة الألف، ولم يحتاجوا معها الى ضم شيء أخر، وكان هذا هو المشهور في حساب أهل حساب الجمل في بيان مواقع النجوم. (أسرار الحروف، ص: 85). وأما ماهية الواحد في فلسفة العدد عند علماء اللغة المسلمين، فهو من الخواص الجوهرية، لأنه يتسم بالوحدة. وهو حسب إخوان الصفا فيما أورده محمد العربي الخطابي في موسوعته: "الكامل الذي لا يزداد ولا يتناقص، ولا يتغير بالجملة، من حال بضرب أو قسمة، وهو بالقوة جميع الأعداد، وفيه جميع لواحقها"

(محمد العربي الخطابي، 1998، ص: 697)

كما ورد في الموسوعة أيضا: "أن الواحد المصطلح على وحدانيته، قُسم في صناعة التنجيم بستين جزءاً أدق من الأول، وهي عندهم الدَّرجُ، وسموها لذلك دقائق - وذلك جري على العادة في قسمة الدرهم بستين فلساً، والجريب بستين عشيرًا – ثم قسموا تلك الدقائق بستين ثانية، والثانية بستين ثالثة، والثالثة بستين رابعة. وعلى ذلك ما بعدها من الخوامس والسوادس والسوابع والثوامن والتواسع والعواشر، وما وراء ذلك من سيمات الأعداد الموالية غير المتناهية بالطبع، الاَّ إذا أحب الحاسب الوقوف عند بعضها" (محمد العربي الخطابي، 1998، ص: 698). وربما على هذا الأساس هذا النهج التحليلي للقوى العددية يمكن القول بأن من بين أبرز السمات التي تتمتع بها الحروف الهجاء هي فكرة النسب الرقمية، وذلك حسب ما ذهب إليه علماء التصاريف.

يرى شيخ الفلكيين البوني فيما تعلق بوقتية الحرف في الزمان، بأن محاولة ربط الموجود المتعين والمشاهد، بالوجود الملكوتي اللا متعين، هو من قبيل رد المبدأ الى الأصل الأول. وهذا من خلال رصد الطبائع الجوهرانية للحروف، والكيفيات التي تكون بها الأزياج العددية كلية وتامة. أي: أن الجواهر حروف وهي جواهر لا عددية ولا زمانية، حيث يقول: "إن الحروف لا وقت يحصرها، وإنما هي تفعل بالرياضة، والخاصية لمن شاء، أول الحروف الألف، فإذا نظر ناظر الى الحروف هي الواحد في الأعداد، والأعداد قوة روحانية لطيفة، فالأعداد بناء على ذلك من أسرار الأقوال، كما أن الحروف من أسرار الأفعال". (أسرار الحروف، ص: 62)

وبالقياس لمنطق الطير فإن جنس الحروف من جنس الأصوات العددية، ومن جنس الألفاظ الناطقة في الأدمية، ويمكن تقسيم الحروف هنا الى قسمين هما:

1- النوع الأول، الحروف القمرية وهي: أحرف النُطق مثال: الألف (ا) الْأسد، الباء (ب) لْباب، الجيم (ج) الْجو، الحاء (ح) الْحب، الخاء (خ) الْخير، العين (ع)

الْعين، الغين (غ) الْغرب، الفاء (ف) الْفاتحة، القاف (ق) الْقانون، الكاف (ك) الكريم، الميم (م) الْمال، الهاء (ه) الْهواء، الواو (و) الْورد، الياء (ي) الْيمن.) (/https://www.marefa.org)

2- النوع الثاني: الحروف الشمسية وهي أحرف الجواب، فقد أسلم أبو علي بن مسكويه، ردا لأبي حيان التوحيدي، إزاء مسألة منطق الحروف الشمسية المركبة من أسرار الحروف وأسرار الطبيعة. حيث يقول: "إن الحرف جسم روحاني في هيكل جسماني يمكن الاعتماد عليه في معرفة علم أسرار الجمل" (التوحيدي، الهوامل والشوامل، دط، ص: 20 -21) باعتبارها الحروف الجامعة للمفهوم الكلي الذي يندرج تحته كل ما هو تحت الفلك الأعظم، أي فلك النفس الناطقة.

يرى الشيخ الاكبر محي الدين بن العربي، أنه من تراكيب الحروف وأعدادها يستخرج أهل التصرف حقائق الحكمة الأولى على وجه العمل بخواص الحروف العددية، ويحاولون برياضة النفس تفسير العوارض والعلامات التي بها تكون حوادث الوجود. وبالأرقام العددية تنفخ الروح في جسد الحروف الهجائية، إذ لكل حرف من الحروف الثمان والعشرون مدلوله العددي، وتكتمل بيانات العدد في هذا العلم برقم: (1) الذي يقابل أول الترتيب الأبجدي وهو حرف قمري (أ)، وتنتهي الحقائق الهندسية عند حرف (غ) الذي يقابله العدد (1000). ويمكن اعتماد هذه المتقابلات العددية بالنسبة لحروف أبجد كما مبين في الجدول كالآتي:

الحرف	الرقم	الحرف	الرقم	الحرف	الرقم	الحرف	الرقم
أ	1	ح	8	س	60	ت	400
ب	2	ط	9	ع	70	ث	500
ج	3	ي	10	ف	80	خ	600
د	4	ك	20	ص	90	ذ	700
ه	5	ل	30	ق	100	ض	800

و	6	م	40	ر	200	ظ	900
ز	7	ن	50	ش	300	غ	1000

بالعودة الى أهم رجال الكيمياء الباطنيين يورد جابر بن حيان في هذا سياق ما بيناه في الجدول السابق، عبارة وجيزة عن المعادلات الفلكية التي تقوم عليها حسابات الجمل، فقد ورد في كتاب: (بيكاتريس – Picatrix) كلام عن الكيميائي جابر بن حيان " وأعلم أنه إذا كان الدواء الفاعل ذو الطبع خاصا بالأمر، فإن الفعل الصادر عنه يكون أقوى والطلسم أبهر، وذلك بين من الصورة إعطاء الكواكب ومن جهة القبول أيضا، وذلك لأن العطاء يكون أتم، ومثال ذلك. أكرمك الله أن تعتمد في أول عمل الطلسم مثال القبول وصورته ليقع له العطاء من الكواكب على قبول تام، فيتم المراد من الطلسم ويدوم فعله وتنتشر روحانيته" (مجلة عالم المعرفة، المرجع السابق، ص 139).

خاتمة:

يعتبر علم أسرار الحروف من العلوم الباطنية التي تداولها المتصوفة المتصرفون في باب علم الفلك والهيئة، وقد اعتمدوا الى الجانب الرمزي في عرض المسائل المتعلقة به من زيجات وطلاسم أرجعو أصولها الى قوى عددية تحكم الحروف والجمل. كما انهم حاولوا من خلال هذا العلم الذي اعتبر من مصدر النبوة،

6. قائمة المراجع:

- نيقولاس أوستلر، إمبراطورية الكلمة تاريخ اللغات في العالم، تر: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2011، ص 23.
- (محمد امين فرشوخ، موسوعة عباقرة الاسلام في الفلك، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ج5، ط1، 1995، ص: 25).

ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، د س، ص: 542

(عبد الباقي مفتاح، المفاتيح الوجودية والقرآنية لكتاب فصوص الحكم لابن العربي، دار البراق، دط، 2004، بيروت، لبنان، ص 35).

(محمد الخطابي، موسوعة التراث الفكري العربي الاسلامي، ج2، ص: 695)

(ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، مطبعة الجوائب، ط1، القسطنطينية، تركيا، 1298هـ، ص 75).

(أحمد محمد الشنواني، 2007، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية، موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الاسلام، ص: 136).

(كليفورد بوزورث، تراث الاسلام، تر: حسين مؤنس، مجلة عالم المعرفة، ج2، الكويت، 1998، العدد 234، ص127)

(التوحيدي أبو حيان، المقابسات، المرجع السابق، ص 173)

(شوقي حمادة، معجم عجائب اللغة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 08)

(عبد الكريم الجيلي، الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، تق: قاسم الطهراني، دار مطبعة الهلال، بيروت، لبنان، ص: 28 - 33)

- المصدر نفسه، ص 3ص 23- 26.
- المصدر نفسه، ص 36.

- أسرار الحروف، ص 85.
- أسرار الحروف، ص 62.
- أوستلر، المصدر السابق، ص 147.